

الرمز آلية للتجريب الجمالي في الشعر الجزائري المعاصر: مقارنة نقدية لنماذج مختارة
Symbolism as a Mechanism of Aesthetic Experimentation in Contemporary Algerian
Poetry: A Critical Approach to Selected Models

* د. صليحة سبقاق

Saliha SEBGAG

جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)

Mohamed Khider University – Biskra (Algeria)

saliha.sebgag@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2026/06/02

تاريخ القبول: 2025/11/26

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور الرمز في بناء التجريب الجمالي في الشعر الجزائري المعاصر، من خلال تحليل نماذج مختارة تعبر عن تحولات الرؤية الشعرية والوعي الفني لدى شعراء هذه المرحلة. يسعى البحث إلى بيان كيفية توظيف الرمز بوصفه آلية فنية لإعادة تشكيل المعنى وإغناء التجربة الشعرية، مستنداً إلى قراءة تأويلية تكشف الأبعاد الجمالية والفكرية للرمز في سياقاته النصية والثقافية. وقد خلصت الدراسة إلى أن الرمز أصبح مكوناً جوهرياً في التجريب الشعري الحديث، إذ يجمع بين البعد الجمالي والدلالي في تشكيل الخطاب الشعري الجزائري المعاصر. الكلمات المفتاح: شعر جزائري معاصر، آليات تجريب فني، رمز، دلالة، تجربة شعرية.

Abstract :

This study aims to reveal the role of symbolism in shaping aesthetic experimentation in contemporary Algerian poetry by analyzing selected models that reflect the transformations of poetic vision and artistic consciousness among poets of this period.

The research seeks to demonstrate how the symbol is employed as an artistic mechanism for reshaping meaning and enriching the poetic experience, drawing upon an interpretive reading that uncovers the aesthetic and intellectual dimensions of symbolism within its textual and cultural contexts.

The study concludes that symbolism has become an essential component of modern poetic experimentation, as it integrates both aesthetic and semantic dimensions in the formation of contemporary Algerian poetic discourse.

* صليحة سبقاق: saliha.sebgag@univ-biskra.dz

Keywords: Contemporary Algerian poetry, Mechanisms of artistic experimentation, Symbol, Signification, Poetic experience.



المقدمة:

برزت مظاهر التجريب الفني في الجزائر بشكل ملحوظ، تأثراً بالأدب الغربي والعربي، وبفضل تجربة اللغة الثانية التي استخدمها الشاعر كأداة جديدة لنقل رسالته وأفكاره ومشاعره. هذا التجريب لم يقتصر على التغييرات الشكلية فحسب، إذ امتد ليشمل التجديد في اللغة والمضامين، حيث تداخلت مختلف الآليات الفنية مثل الرمز، والأسطورة، والتناص، وتداخل الأجناس الأدبية، التي تطلبت من القارئ قدرًا عاليًا من الوعي الثقافي والقرائي لفك شفرة النصوص وتأويلها. لقد ساهمت هذه الآليات في إثراء النص الشعري الجزائري، حيث أصبحت تستدعي مرجعيات ثقافية متعددة ومتنوعة تعكس الهوية الوطنية والإنسانية في آن واحد.

تهدف هذه الدراسة إلى رصد وتبيين الرمز كآلية من آليات التجريب على مستوى اللغة والبناء الفني من خلال تحليل نماذج شعرية جزائرية معاصرة. وستركز الدراسة على كيفية تجسيد الرمز في التجريب الشعري، مع محاولة الكشف عن المرجعيات الثقافية التي استند إليها الشاعر الجزائري في سياق إبداعه، ومدى فعالية هذه الآليات في التعبير عن الأوجاع الوطنية والإنسانية.

سبب اختياري هؤلاء الشعراء لما تتوفر لديهم من آليات التجريب على مستوى لغتهم وبناءهم الفني، ولما يتميزون به من لغة شعرية مجسدين من خلالها الرمز ولتعبيرهم الصادق عن تجاربهم الوطنية. تتمحور إشكالية الدراسة حول الأسئلة التالية:

- كيف تتجلى آليات التجريب الفني في لغة الشعر الجزائري المعاصر؟
 - ما هي المرجعيات التي استند إليها الشاعر في توظيف الرمز؟
 - هل استطاع الشاعر من خلال هذه الآلية أن يعبر بصدق وعمق عن تجاربه الوطنية والإنسانية؟
- ولتحقيق هذا الهدف، فرض المنهج التأويلي نفسه كالأكثر ملاءمة، حيث يعتمد على أدوات الوصف والتفسير المتعمق للنصوص، للكشف عن المضمرات والدلالات الخفية التي تحملها هذه النصوص الشعرية.

1- التجريب في لغة النص الشعري الجزائري المعاصر:

إنَّ مصطلح التجريب، بوصفه إحدى السمات الحداثيّة الأساسيّة في الأدب المعاصر، يعكس موقفًا إبداعيًا يتجاوز التغيير السطحي ليشكل عملية مستمرة من التجديد والتجاوز للأنماط التقليدية، ويفتح آفاقًا جديدة للتعبير الشعري. وفي الشعر الجزائري المعاصر، يتجلى هذا التجريب من خلال توظيف الرمز والأسطورة والتناص، وتداخل الأجناس الأدبية، حيث تتشابك هذه الآليات الفنية لتشكل بنية شعرية معقدة ومتعددة الأبعاد.

تعمل هذه الأدوات على إثراء النص الشعري، حيث تتحولان إلى وسائط تحوّل الذاكرة والتراث إلى فضاءات مفتوحة للتأويل، فيما يساهم التناص في إحداث تواصل حيوي بين النصوص، يثري القصيدة بمرجعيات ثقافية متنوعة، في حين يُضيف تداخل الأجناس تعددية صوتية تُكسر الحواجز بين الأشكال الأدبية المختلفة.

بهذا الشكل، يتجاوز التجريب في الشعر الجزائري المعاصر كونه مجرد تغيير شكلي، ليصبح مشروعًا ثقافيًا وفنيًا يعكس التحديات والهوية المتعددة للمجتمع، ويُعيد صياغة الأبعاد الجمالية والإنسانية للنص الشعري بأساليب معقدة تتطلب من القارئ وعيًا نقديًا متعمقًا وفهمًا ثقافيًا موسعًا.

إن هذه المظاهر لا تعكس فقط رغبة في التغيير الفني، إذ هي تجليات لصراع الهوية والذاكرة والتاريخ، في نصوص تتفاعل مع الواقع المعاصر بأساليب فنية معقدة تتطلب من القارئ تأملًا نقديًا متعمقًا وفهمًا ثقافيًا واسعًا. فالتجريب في الشعر الجزائري المعاصر، من خلال هذه الآليات هو مشروع فني وثقافي يستجيب لتحديات المجتمع ويعيد صياغة الأبعاد الجمالية والإنسانية للنص الشعري.

2- التعبير بالرمز في الشعر الجزائري المعاصر:

التعبير بالرمز يُعدّ من أهم مظاهر التجريب الفنية في الشعر الجزائري المعاصر، وهو وسيلة إبداعية تعكس تحولًا جذريًا في الأسلوب الشعري، مرتبطًا بالحدثة والرغبة في تجاوز التعبير المباشر والتقريبي إلى لغة إيحائية مشبعة بالدلالات. ولا يكاد يخلو نص شعري معاصر في الجزائر من حضور الرموز التي تجسّد عمق تجربة الشاعر وقدرته على توصيل أفكاره ومشاعره عبر معانٍ مستترة، تُطرح أمام القارئ على شكل إشارات حسية تُنقّب خلفها في عوالم التأويل. يرتبط الرمز في هذا السياق ارتباطًا وثيقًا بالتناص وتداخل الأجناس، إذ يُستخدم كعنصر مركزي في بناء النصوص التي تجمع بين تأثيرات أدبية متنوعة، وهذا ما أكّده الباحث محمد فتوح أحمد حين عزّف الرمز بأنّه: "شيء حسي يُعتبر كإشارة إلى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار القائم على وجود مشابهة بين الشئيين، أحسّت به مخيلة الرامز". (محمد فتوح، 1977، ص 178). ومن هذا التعريف، يتبين لنا أنّ الرمز ليس مجرد إشارة سطحية، فهو علاقة تشابه تمتد بين المظهر الحسي والموضوع المعنوي، ما يمنحه قدرة على التعبير عن مفاهيم مجردة وأحاسيس شعرية يصعب التعبير عنها بعبارات مباشرة.

من أبرز الأمثلة على هذا التوظيف الشعري، ما جاء في ديوان "يطوف بالأساء" للشاعر عبد الله العشي، حيث تتداخل الرموز الصوفية مع التجربة الشخصية والوطنية، لتخلق نصوصًا تتميز بالغموض الإيحائي والتنوع الدلالي، ما يجعلها نموذجًا حيًا للتعبير الرمزي المميز في الشعر الجزائري المعاصر:

سكبت خمرتي أرققتها على دمي، وأجهشت خطاي
رميت شملتني، وسرت فوق الماء، غار الماء،...
كان الكون بين الظن واليقين

ردني وعاد بي إلي (العشي، 2009م، ص 11).

يظهر هذا المقطع الشعري لعبد الله العشي، المقتبس من ديوانه "يطوف بالأساء"، بعمق مظاهر التجريب الفني في الشعر الجزائري المعاصر، حيث يدمج بذكاء بين الرمز والبعد الصوفي والتناص، مكونًا نصًا يتسم بالغموض والدلالة المتعددة الأبعاد. فعبارة "سكبت خمرتي أرققتها على دمي، وأجهشت خطاي" ليست مجرد وصف لحالة وجدانية، بل رمز معقد يشير إلى التلاقي بين الروح والجسد، وبين النشوة والمعاناة، إذ تتحول الخمر إلى رمز للمعرفة الروحية والنشوة الصوفية، بينما يمثل الدم جوهر الحياة أو الذات التي تتزف في مسار البحث عن الذات والكمال، والخمرة من الرموز

الصوفية، وقد امتزجت بالدم في هذا المقطع، وترتبط في القصيدة بالحياة الاجتماعية والتفسيّة، وإرادة الذات الإنسانية في التخلص من عذاب الواقع، وقد اتخذ الحمر منذ القديم عند الصوفيين رمزا للمحبة الإلهية، ولكن ما يثير الانتباه هو أنّ معظم قصائد الشعر الجزائري المعاصر، تتخذ من الحمرة رمزا للرفض والتمرد على الواقع، والدليل أنّ الشاعر مزجها بالدم، "فاللغة الصوفية هي لغة تجاوز" (نوال أقضي، 2015، ص132). أي أنها لغة تتجاوز التعبير المعجمي والتقرير المباشر، عن طريق تكثيفها للدلالات من خلال اعتماد الرموز الصوفية، وغيرها والتي تعدّ من السمات الجمالية التجريبية في القصائد المعاصرة، هذا التعبير الرمزي يفتح أمام القارئ أفقا تأويليا يتجاوز المباشر ليغوص في عمق التجربة الإنسانية، حيث يتداخل الحسي مع المجرد في لعبة إبداعية تُثري النص وتدعوه إلى التعدد الدلالي.

يتجلى البعد الصوفي في رحلة النص عبر الصور مثل "رميت شملي، وسرت فوق الماء، غار الماء"، إذ يُنظر إلى الماء هنا كرمز للغيب واللا نهاية، معبراً عن حالة انصهار الذات في المطلق، حالة تنزع إلى التخلي عن الفردانية والاتحاد بالكلّ، وهو جوهر التجربة الصوفية التي تسعى إلى التحرر من القيود المادية والتخليق في فضاءات الروح. كما يعكس النص الصراع الوجودي بين "الظن واليقين"، مسألة فلسفية عميقة تدور حول طبيعة المعرفة الإنسانية وحيرتها في التمييز بين الحقيقة والوهم، وهو صراع يجعل من الشعر مساحة للتأمل في الوجود وتناقضاته.

والنص، إذًا، يشغل على بناء فضاء شعري متداخل الأجناس، حيث تتلاقى الفلسفة مع الصوفية، والتجريب مع التأمل، لتشكل بذلك نموذجًا حيًا لآليات التجريب الفني التي يستخدمها الشعر الجزائري المعاصر. وهذا التداخل بين الرمز، والتناص، وتداخل الأجناس الأدبية يعكس حالة ثقافية ونفسية تعكس أزمت الهوية، وتعقيدات التاريخ والواقع السياسي والاجتماعي في الجزائر. وبالتالي، يتحول النص إلى موقع للاشتباك بين الذات والآخر، بين المادي والميتافيزيقي، بين التأويل والتجريب، مما يستوجب من القارئ وعيًا نقديًا وثقافيًا عميقًا للانخراط في عملية القراءة والتأويل، "عبر اللغة الصوفية التي تمارس الانزياح إلى عوالم الإشارة نلمس الجمال الرمزي"، (نوال أقضي، 2015، ص د). ويلجأ الشاعر لهذه الرموز الصوفية بحثًا عن الجمال، وليفرّ من سلطة الواقع وقهره، إذ يجد في الرموز الصوفية ملاذًا له، ومن أمثلة ذلك أيضًا ما قاله "عثمان لوصيف" في قصيدته "آه يا جرح"، من ديوانه "الكتابة بالتار":

يرفض أطباق الذهب والماس

يرفض أن يضمخ بخطر الخساسة

يرفض أن يغسل بالحمر المعتقة ويطبخ

في قدر السياسة

يرفض أن يكلّل بالورد ويرقص مع المهرجين

في سوق النخاسة (عثمان لوصيف، 1982م، ص47)

يتجلى في هذا المقطع الشعري توظيف الرمز بإتقان ليشكل مساحة حيوية للتجريب الفني في الشعر الجزائري المعاصر، حيث ينطلق الشاعر من رفض الظواهر السطحية الزائفة التي تُغطي على جوهر الواقع؛ عبر استنكار "أطباق الذهب والماس" و"عطر الخساسة" وغسل "الحمر المعتقة" في "قدر السياسة" و"سوق النخاسة".

هذا الترفض يتجاوز الجانب الجمالي أو الشكلي، ليصبح موقفًا نقديًا حادًا من السلطة السياسية الفاسدة، والفساد الاجتماعي والاقتصادي المستشري، حيث تعبّر الشاعر هنا يُبرز رفضه للفساد المادي والروحي معًا، ويرمز هذا الترفض إلى نقدٍ عميق لمفهوم القيم الزائفة التي تُفرض على المجتمع، وهو نقدٌ يتماشى مع فلسفات الوجود والذات التي تتساءل عن حقيقة الوجود في ظلّ عالم مُشوّه بالقيم المادية والزائفة، والحمر في هذا السياق تتخذ دلالةً مضادةً لتلك التزيّفات، فهي رمز للصفاء والنقاء، وللوصول إلى حالة من الصدق الذاتي والتطهير الروحي، وتُجسّد رحلة الإنسان نحو ذاته الحقيقية، متجاوزًا كلّ ما هو ماديّ وزائل، وهو ما يتقاطع مع مبادئ التّصوّف التي تعبر عن حالة الاعتقاد من العالم المادي نحو عالم المعنى والذات الإلهية.

ويعبّر بذلك الشاعر عثمان لوصيف عن حالة الانفصال العميق بين قيم المجتمع الفعلية والقيم المثالية التي يجب أن تحكم العلاقات الإنسانية، فهو يفضح الفجوة بين المظاهر الاجتماعية التي تتسم بالتزيّف والفساد وبين الجوهر الإنساني الأصيل. "سوق التّخاسة" هنا ليست مجرد مكان للبيع والشراء، بل هي رمز لوضع مجتمعي يعاني من الاستغلال والتآمر، حيث تُباع القيم الإنسانية كسلعة، وتختفي الأصالة في زحمة المصالح، ويحمل المقطع الشعري رفضًا واضحًا للأظلمة الحاكمة والسياسات التي تُثأّر من خلف ستار من الواجحات المزيفة، حيث تستغل السلطة كلّ شيء، من الذهب إلى العطور، لتجميل الواقع المر الذي يعانيه المواطن؛ إنّ هذا الرفض الصريح لـ"الورد" و"المهرجين" يُظهر موقفًا نقديًا يفضح المسرحية السياسية التي تُقام على حساب الشعب.

حيث يصبح الشعر أداة مقاومة فنيّة تعبّر عن رفض الظلم والاستبداد، بهذا الشكل، يصبح هذا المقطع نموذجًا حيًا للآليات التجريبية التي يستثمرها الشاعر الجزائري في بناء نص شعري يعكس تجارب سياسية واجتماعية وفلسفية عميقة، مستخدمًا لغة رمزية تتداخل فيها الأبعاد الإنسانية مع الفكر الصوفي والفلسفي، "فدلالة الحمرة انزاحت من كونها شرابا للسكر، والترويح على النفس، وأضحت سبيلا للوصول إلى الطّهر، فالشاعر قد منح لرمز الحمرة دلالة كبيرة وعظيمة، وجعل مكانتها قدسية، كيف لا والحمرة هي سبيله نحو الخلاص، والتلاحم مع الذات الإلهية، وتدلّ على عالم الرّوح والظّهارة، والقداسة، بعيدا عن دويّة ودنس العالم الخارجي (عالم الجسد المادي)". (فاطمة عبد الرحمن، سامية غشير، دت).

ومن الرموز الصّوفية الموظّفة في القصائد الجزائرية المعاصرة: السّفر والكروم، والسكر، والغزل، والحمر، والكأس، الحوض، الظلّ، كوثر الرّوح، السّقاء، الرّي، العشق، الشّوق.... وترتبط معظم الرموز الصّوفية كالخمرة والكأس... بالسكر المعنوي، والرّغبة بالهروب من الواقع، وبالعزلة والانفصال عن الواقع، ومن ذلك قول الشاعر عثمان لوصيف في قصيدته "جرس لساعات تحت الماء" جسّد فيه مشاعر الإشتياق والحنين للحب، ذلك الإشتياق الذي يتحوّل إلى مرض يفتك الرّوح والجسد والوجدان. ويظهر رمز الخمرة في مقاطع عديدة من الديوان إذ يستحضّر الشاعر الرّمز للتعبير عن عشقه وهيامه، وموطن فرحه وسعادته، حيث يقول:

"هذي أباريتي لكم فيها شفاء

فخذوا.. خذوا من خمرتي

كأسا يعطرها الصفاء

وتشربوا طعم القداسة كلكم عندي سواء

فإذا التياجي طخطخت وتفخمت كلّ التجوم." (عثمان لوصيف، 2008، ص 31)

الواضح من خلال هذا المقطع أنّ الحمرة كانت سبباً في شفاء الشاعر التقسي، وإزالة أحزانه وآلامه وأوجاعه، فالحمرة في هذا السياق رمز للصفاء والتقاء والصدق، وسبيل للوصول إلى القداسة والعظمة، والتماهي مع الذات الإلهية. فدلالة الحمرة انزاحت من كونها شراباً للسكر والترويح على النفس، وأصبحت سبيلاً للوصول إلى الطهر. ف"لوصيف" تماهى حميتها معها، فأضى كالتيديم يقدم كؤوس الصفاء للأشخاص الهاريين من حميم واقعهم، والباحثين عن عالم تملؤه ملائكة التقاء والصفاء.

أما الشاعرة "نادية نواصر" في قصيدة "جرأة الياسمين"، والتي وظفت فيها الشاعرة مجموعة من الرموز المختلفة، ومنها الصوفية كالعشق والشوق:

جئتك يا متبي

أنا الياسمين الجريء

في الهزيع الأخير من الليل

والهجيء في تلك الساعة

في مجتمع بطريقي

مخاطرة كبرى بالتاريخ

وقوانين الأساطير الخجولة

جئتك وأنا أؤمن

أنّ كتاب العشق المفتوح

له طقوسه في الجرأة والضحيل

هذه أنا لا أخشى عسس الليل

وحراس القوانين الجائرة

ما دمت أصلي لعينيك

وأرتل آيات الشوق على شفتيك." (نادية نواصر، 2021، ص 5)

وتقول أيضا الشاعر "نادية نواصر" في قصيدتها "لن ينتحر الساحل":

وأنت يا وطني إلى خلعان القلب

أت..

وأنا امرأة الريح

امرأة الشهب

النار

أطلقت في ربح العمر معان شتى
لا تعتصر وجعي الشديد
فإن للربح أشربة تعلمني الجنون
حين أعرش في الموائ
في سديم الريحني هول المطر
وألني أن أراك وحيدا
تواصل في زاحفا
ريحا
مطرا
جرا

تربة (نادية نواصر، 2013، ص30)

إنها صرخات أثنوية أطلقتها الشاعرة مشحونة بحزن كبير على وطنها الذي بات وحيدا، فهي لا تسكنه رغم حبها الشديد له، لتصبح ريحا مدمرة تدمر كل من يعترض طريقها كي تعود إلى وطنها وتسكنه من جديد، فراحت تشبه نفسها بالريح التي علمتها الجنون والثورة، فالريح هنا رمز للقوة الجارحة وظفتها الشاعرة لتسقطها كرمز على ذاتها القوية التي تريد تخليص وطنها من كل الأحزان والجراحات والوحدة التي كان يعيشها، فهي نائرة كالريح العاتية التي تهب لتدمر كل ما أمامها، ربح هبت بقوة حبها لوطنها فهي لن تستسلم للضعف، وستواصل زحفها للوصول إلى هذا الوطن، فالريح إذا هي رمز القوة والثورة التي تشتعل كنار الشهب في خلجان قلب الشاعرة المعبر عن إحساسها العميق بهوم وطنها وقضاياها، كما أضافت الشاعرة عناصر طبيعية أخرى كالملطر، التربة، الشجر والنار، وطالما اعتبرت الطبيعة هي الوجه الآخر للإنسان على الأرض ولهذا جعلت الشاعرة من عناصرها رموزا للتعبير عن وطنها وأحزانه وهوميه المختلفة.

يقدم المقطع نصًا شعريًا معاصرًا زاخرًا بالدلالات الرمزية، حيث يتحوّل الياسمين من مجرد زهرة إلى علامة دالة على النقاء والقوة الداخلية، فهو "الياسمين الجريء"، الذي يرفض الخضوع لقوانين العتمة. هنا تُقدّم الشاعرة مفارقة عميقة: الجمع بين الرقة الطبيعية والجرأة الوجودية، ما يُعني النص بدلالات تتجاوز الاستعارات البسيطة لتكشف عن تمازج بين الجسد الشعري والطبيعة، وعن افتتاح الشاعرة على إمكانيات التجدد، ويرمز مجيء "الهزيع الأخير من الليل" إلى لحظة مفصلية، هي لحظة استثنائية للوجود الفردي الذي يتموضع عند حدود الغيب والتاريخ. إنّ الليل، بظلامه وسكونه، يطرح هنا كحاجز وجودي، بينما يأتي المحييء في تلك اللحظة كفعل يعلن التحدي وكسر القيود المفروضة.

النص يقدم هذا التحدي كجزء من مواجهة شاملة مع منظومة من "قوانين الأساطير الخجولة"، التي قد تشير إلى مفاهيم اجتماعية أو ثقافية متوارثة لم تعد قادرة على احتواء الذات الثائرة. تقدم نادية نواصر قصيدة تمثل تجربة شعرية جزائرية فريدة، تزوج بين جاليات اللغة وقوة الرؤية، فالنص يبرهن أنّ الشعر الجزائري المعاصر هو فضاء معقد يُعيد تشكيل الأسئلة الكبرى للذات والوجود، ويعكس في الوقت ذاته صراعًا حادًا مع عالم يضيق عن الحرية والجمال والجرأة.

تنبلور في المقطع الشعري السابق حالة الوجود الفردي الذي يتحدى قوانين المجتمع الظالمة، حيث يصبح "الحيء في تلك الساعة" مخاطرة وجودية تتماهى مع فعل التمرد على الواقع الاجتماعي والسياسي. يفتح النص بذلك أفقاً لإعادة قراءة المفاهيم المرتبطة بالحرية، الجرأة، والإيمان كقيم تتحدى الواقع، وهو ما يتقاطع مع فلسفات الحرية والذات في الفكر الوجودي والصوفي على حد سواء.

ويظهر البعد الصوفي في توظيف شعائر التعبد مثل الصلاة وترديد "آيات الشوق" على الشفاه، ما يشير إلى رحلة روحية داخلية نحو اتحاد مع المحبوب، والذي قد يفهم أيضاً كرمز للذات العليا أو الحقيقة المطلقة. هذه الرؤية الصوفية تحمل في طياتها دعوة للثبات على المبدأ والتمسك بالحقيقة وسط الظلام السياسي والاجتماعي الذي يحيط بالشاعرة.

وإلى جانب ما رأيناه سابقاً، فقد ارتأى الشاعر الجزائري المعاصر أن يصور الواقع بلغة حدثية مكثفة دلالية، ليكون تأثيره في نفس القارئ أقوى، ولتجاوز النمط التقريري الكلاسيكي في التعبير، وهذا من سمات التجريب، فالشاعر الجزائري المعاصر وظف الرموز، ليس كمجرد إشارات موروثة أو تقليدية جامدة، بل كليات فنية تجريبية مركبة تحيل أبعاداً فلسفية واجتماعية وسياسية عميقة ثمكّن النص الشعري من التعبير عن معاناة مجتمع مثقل بالتاريخ والواقع المؤلم، لا سيما في فترة العشرية السوداء التي شكّلت نقطة تحوّل مفصلية في الوعي الجمعي الجزائري؛ هذه الرموز التي تتجاوز حضورها المباشر لتتحوّل إلى أدوات للتواصل الحي بين الأجيال، فالشاعر الجزائري المعاصر "يستنطق أعماق الذات في النص الشعري، المشحونة بعذابات الواقع الأليم محاولاً التجرد من (العالم السفلي)، والتوحد ب(العالم الأعلى) بالاعتماد على منطق الباطن الذي لا تحده قيود، ولا تقف دونه حواجز". (أحمد العياضي، 2016، ص104) وقد تمكّن الشعراء الجزائريون المعاصرين من إحداث الانزياح خلف المخاض الصوفي الذي عبّر بالرمز عن الأحداث المبررة التي عصفت بالوطن الجزائري.

وللمقدس الديني دور كبير سواء في الحياة الاجتماعية أو العملية الإبداعية، إذ يبرز جرأة الكاتب وتكمن براعته: "في جعل الماضي معبراً عن الحاضر، مستشرفاً للمستقبل"، (أحمد العياضي، 2016، ص27)

وقد أدرك الشاعر المعاصر أهمية امتصاص الموروث الديني القديم واجتراره في الحاضر، وفي هذه الإطار، نرى في قصيدة فيصل الأحمر "قصيدة أرض بلا أنبياء" مثلاً آخر على هذا التوظيف الذي يجعل من المقدس وقوداً للجرأة الشعرية، ومن الماضي مرآة لفهم الحاضر ورؤية للمستقبل، لتتحول القصيدة إلى أداة نقدية وجدانية متفاعلة مع التحولات السياسية والاجتماعية، تعيد تشكيل التاريخ وتعيد تأويله بما يخدم مصالح الوعي الجمعي ويثري الخطاب الثقافي.

وبذلك، تتجاوز الرموز الدينية في الشعر الجزائري المعاصر حدودها التقليدية لتصبح أدوات حيوية في بناء خطاب شعري يعكس التوترات والآلام، ويمنح الشعراء منصة للتعبير الفني الذي يمزج بين التأمل الروحي والمقاومة الاجتماعية والسياسية، مما يجعل النص مفتوحاً على قراءات متعددة تعكس تعدد الوجوه الإنسانية والتاريخية لهذا الواقع المركب.

هذا التوظيف الرمزي يمنح اللغة الشعرية بعداً جمالياً متجدداً يتسم بالعصرية وثراء دلاليّاً مكثفاً، حيث يسعى الشاعر الجزائري المعاصر إلى استثمار الطاقات الدلالية الكامنة في الرموز الدينية، التي تعبّر عن دراما الحياة الإنسانية بكل تجلياتها.

فهذه الرموز لا تمثل فقط مثلاً على العطاء والبذل وحمل الرسالة، بل تجسّد كذلك نموذجاً فريداً لتحتمل المكابدة، والعذاب، والمعاناة، مما يثير النص الشعري بعمق إنساني وروحي متجدد، (ينظر: أحمد العياضي، 2016، ص 27) وفي هذا الإطار يقول فيصل الأحمر في قصيدة " قصيدة أرض بلا أنبياء " المرحلة الثامنة لسندباد " من ديوان المعلقات التسع:

المح النجم والشجر الساجدين

فويق بساط الإله

ولحنا شريداً وسحرًا

جديداً

على جبهة العود في

بسمة الناي... حين يئن نواه

ووردة آدم حين تحضن حواء

أعطافها (فيصل الأحمر، 2013م، ص 66)

هذا المقطع يمكن اعتباره إعلاناً عن أزمة الهوية والغياب الروحي في المجتمع، خاصة في سياق الجزائر المعاصرة التي تعاني من أزمت متعددة على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية "فأرض بلا أنبياء" هي ركز لغيب القادة أو الرؤى التي توجه الإنسانية، في مقابل حضور الرموز الصوفية والطبيعية التي تدعو إلى استعادة التواصل مع الجذور الروحية والإنسانية، ويبرز هذا المقطع الشعري الصراع الوجودي والبحث الروحي في فضاء يعج بالغياب والاحتياج إلى الرسالة والمعنى؛ حيث يظهر النص انشغال الشاعر بالبحث عن حضور متعذر أو مفقود، عبر استدعاء رموز دينية وطبيعية مثل "النجم" و"الشجر الساجدين"، و"بساط الإله"، التي ترمز إلى حالة التقديس والاتصال بالملق، لكنها تبقى بعيدة في ظل "أرض بلا أنبياء"، أي غياب الدلالة الفاصلة والحكمة النبوية التي توجه البشرية، وهذا الغياب يخلق حالة من التيه والارتباك، كما يتجلى في "الحن الشريد والسحر الجديد"، الذي ينشد على جبهة العود وبسمة الناي، رموز الموسيقى التي تعبّر عن الحزن والحنين إلى الكمال والاتحاد الروحي.

ويرتبط النص ارتباطاً وثيقاً بالصوفية التي ترى في الحب والتوحيد طريقاً للبحث عن الذات والاتحاد مع الملق، حيث تجسّد "وردة آدم حين تحضن حواء أعطافها" صورة رمزية للاتحاد الأولي، رمز الأصل والخلق، لكنه في الوقت نفسه إشارة إلى الحنين إلى حالة كمال مفقودة في الأرض التي "بلا أنبياء"، ويصبح النص بذلك تأملاً وجودياً في الطبيعة والوجود الإنساني، عبر لغة رمزية توظف التجربة الصوفية لإعادة بناء الوعي الفردي والجماعي.

يبرز المقطع السابق أيضاً كيف يُوظف الشاعر الجزائري المعاصر عناصر الطبيعة ليس فقط كصور جمالية، بل كرموز تتجاوز الذات إلى أفق إنساني واسع، تعكس مواقف نقدية وفلسفية تجاه الزمن والوجود والهوية، وتمنح النص قدرة على استشراف الحاضر والمستقبل عبر تأملات عميقة في العلاقة بين الإنسان وعالمه.

والقصيدة المعاصرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعناصر الطبيعة وأشكالها المتنوعة، حيث تُستخدم هذه العناصر كرموز تعبّر عن مواقف وأحاسيس مختلفة لدى الشاعر الجزائري، فتتحول الطبيعة إلى لغة رمزية تعكس رؤيته للحظة الراهنة

التي يعيشها. فقد أصبحت مظاهر الطبيعة أدوات تمثيلية للحياة النفسية والوجدانية، إذ هي الشرارة التي تلهب الروح الشعرية وتحرك مشاعرها. ومن هذا المنطلق، نرى في نص الشاعرة الجزائرية خالدية جاب الله من ديوان "للحزن ملائكة تحرسه"، في قصيدتها "نورس يأتي قبل الإبحار بقليل"، مثالا حيا على هذا التوظيف الإبداعي لعناصر الطبيعة لتجسيد التجربة الذاتية والمهوم الوطنية بأسلوب شعري غني بالدلالة والرمزية، "مظاهر الطبيعة أصبحت رموزا للحياة النفسية، لأنها عود الثقاب الذي يشعل الزوح الشاعرة"، (أحمد العياضي، 2016، ص165)

أما في قصيدة "نخلة أوفرت حزنا" تقول الشاعرة خالدية جاب الله:

صديقي وقد غزبتنا البلاد ... وشاخ من الحزن وجه زماني

تحملت وحدي حرائق جرحي ... وبعث مواسمنا للدخان، (أحمد العياضي، 2016، ص41)

فالدخان يرمز إلى أثر التدمير، والحرائق، وقد تشير به الشاعرة إلى سنوات الجمر، أين شعر الشاعر والمواطن الجزائري بالغربة في بلاده، نتيجة عدم الاستقرار وانتشار ظاهرة الإرهاب، وفي نفس القصيدة تقول الشاعرة:

"وأنت يا نخلة العمر خنت ... ولم تعد الدار دار أمان.

أمرغ في يتم ليلك وجهي ... وأعلو فتهبط لي دمعتان

أصبح بنخل الفجيرة مملا ... جدائل اليوم باعت لساني". (أحمد العياضي، 2016، ص42)

والنخلة كرم طبيعي وظفت في القصائد المعاصرة كثيرا، ويرمز بها إلى الشموخ والإباء العربي، لكنّ توظيف الشاعرة للرمز يرتبط بسياق مناقض، فالتخلة خانت، ولم تعد الدار آمنة، إشارة إلى الوطن الجزائري، والظروف التي مرت بها البلاد خلال العشرية السوداء خاصة، فالتخلة ربطتها الشاعرة بالفجيرة، إذ صادرت لسان الشاعرة، وهذا يشير إلى أن المثقفين الجزائريين كتمت أفواههم، ولم يمتلكوا حق التعبير، فصودرت حريتهم.

وهذا نموذج آخر للشاعر عثمان لوصيف، من ديوانه الكتابة بالثار، مقتطف من قصيدته (تجيين يستيقظ

البحر والريح والميتون:

"تجيين يستيقظ البحر والريح والميتون

يعود ربيع الزمان يدغدغ صمت السنين

يزخ المطر

تدر الدروع

تفيض الزروع" (عثمان لوصيف، 1982م، ص41).

يوظف الشاعر في هذا المقطع رموزا طبيعية مختلفة؛ كالبحر الذي يرمز للحياة، والتجدد، والريح التي ترمز للتغيير، والدليل ربطها بفعل يستيقظ، أما استيقاظ الميت فيشير به الشاعر إلى البعث، وإلى الوعي المفقود، والغائب عن الشعب الجزائري الذي توم طويلا، أما الربيع فرمز إلى التجديد، والجمال، ووقد وظف الشعراء رمز الأوراس مثل ما فعل الشاعر أحمد عبد الكريم، "والأوراس عنده حلم وملاذ ومنعق، وبواسطة الرمز الأوراسي أراد الشاعر أن يحقق في المختل الشعري ما لم يحقق في واقعه الموبوء." (نجيم سانه، 2021، ص150)

يقول فيصل الأحمر في قصيدة أرض بلا أنبياء "المرحلة الثامنة لسندباد":

فن لي بنسمة فجر جديد
ومن لي بخيط المجاهيل
ينسج لي البحر بشرا
وأين سأبحث عن جزر تبث الميتين
هنا في الجزائر (أو في العراق)

إذا بعث الميتون أتوا ميّتين" (فيصل الأحمر، 2013، ص 14)

في هذا المقطع تظهر مجموعة من الرموز الطَّبِيعِيَّة، كالفجر الذي يرمز به الشاعر إلى التغيير، والتجديد وحلمه بالأمان والاستقرار، والغرض التقسي من التساؤل الذي أثاره الشاعر هو التقي والإنكار، فلا أحد يبعث الميتين، وحتى وإن بعث الميتون يرى الشاعر أنهم سيأتون ميّتين، في الجزائر أو في العراق، وفي هذا نزعة تشاؤميّة، إذ يرى الشاعر من خلال هذه اللّغة الرمزيّة أنّ مصيبة الشّعبيين تعود إلى عدم رفضهم للظلم، وعدم مطالبهم بحقوقهم. إنّ التعبير بالرمز في الشعر الجزائري المعاصر يمثل تحوّلًا جوهريًا من التعبير المباشر إلى لغة إيحائية متعددة الأبعاد، تعكس أزمت الهوية والواقع السياسي والاجتماعي. فالرموز الصوفية والدينية والطبيعية -خاصة تُوظف لتجسيد صراع الإنسان مع التاريخ والمصير، وتحول النص إلى فضاء للمقاومة الفكرية والوجدانية، مما يثري الشعر ويجعل القراءة تجربة تأويلية عميقة تتطلب وعيًا نقديًا.

خاتمة:

يُعَدّ التجريب الفني في الشعر الجزائري المعاصر تعبيرًا حيًا عن تطلعات وتجارب المجتمع في مواجهة تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية معقدة، إذ لا يقتصر على التجديد اللغوي فحسب، بل يتعداه إلى بناء نصوص تحمل دلالات متعددة تعكس الهوية والذاكرة الوطنية، ومن خلال توظيف الرمز يقدم الشعراء أدوات فنية مبتكرة تعبّر عن آلام الواقع وآماله، مما يجعل النص الشعري فضاءً حيويًا للتفاعل الثقافي والوعي النقدي.

وتشير النتائج إلى أن هذه الاستراتيجية الفنية تُسهم في تعزيز حضور الشعر كمنصة للتجديد والتغيير إذ يسمح

الرمز ب:

-كسر المباشرة والتقريرية: يمنح الرمز للخطاب الشعري بعدًا إيحائيًا يتجاوز المعنى السطحي إلى تعددية الدلالة.
-توسيع أفق التأويل: يفتح النص أمام القارئ مساحات للتفسير المتعدد، ويجعل التجربة الشعرية أكثر عمقًا وانفتاحًا.
-التعبير عن المواقف السياسية والاجتماعية: استخدم الشعراء الرمز لتجاوز الرقابة وللتلميح إلى قضايا التحرر، الهوية، والعدالة.

-إعادة تشكيل الخيلة: يخلق الرمز صورًا مبتكرة تُفاجئ المتلقي وتعيد تشكيل علاقته باللغة والشعر.

قائمة المراجع:

- 1-أحمد، م. ف. (1977). الرمز والرمزية في الشعر المعاصر (ط. 2). دار المعارف .
- 2-أقطي، ن. (2015). جمالية شعر التفعيلة في الجزائر: 1980م-2008م. جامعة محمد خيضر، بسكرة.

- 3-الأحرر، ف. (2013). ديوان المعلقات التسع. ط. 1. دار الأوطان للطباعة والنشر .
- 4-العشي، ع. الله. (2009). يطوف بالأسماء. منشورات أهل القلم .
- 5-العياضي، أ. (2016). القيم الجمالية في الشعر الجزائري المعاصر: 1975م-2000م. جامعة محمد خيضر، بسك
- 6-عبد الرحمن، ف.، وغشير، س. (د.ت.). جالية الرمز الصوفي وتشكلاته في ديوان "جرس لساوات تحت الماء" ل عثمان لوصيف. أقلام الهند <https://www.aqlamalhind.com/?p=2353> .
- 8-لوصيف، ع. (1982). الكتابة بالنار. دار البعث.
- 9-لوصيف، ع. (2008). جرس لساوات تحت الماء. جمعية البيت للثقافة والفنون .
- 10-نواصر، ن. (2013). حديث زوليخة. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية .
- 11-نواصر، ن. (2021). جراءة الياسمين. دار خيال للنشر والترجمة .
- 12-ساته، ن. (د.ت.). استلهام الشعر الجزائري المعاصر للرمز: العقد الأول من القرن الواحد والعشرين أمودجًا. جامعة محمد خيضر، بسكرة.